

لماذا لا يُبيح الإسلام تعدد الأزواج، كما يُبيح تعدد الزوجات؟

المؤلف : باحثو مركز أصول

المصدر : مركز أصول

التاريخ : 24-08-2022 13:12:36

نص السؤال

لماذا لا يُبيح الإسلام تعدد الأزواج، كما يُبيح تعدد الزوجات؟

خاتمة الجواب

كان العربُ يعدّدون الزوجات قبل الإسلام إلى عشرِ نسوةٍ فأكثرَ، ويسمّون المرأةَ التي تكونُ مع أخرى في عِصْمَةٍ: «الصَّرَّة»، فيقولون: «امرأةٌ مُصْرٌ»، أي: ذاتُ ضرائرَ، و«رجُلٌ مُصْرٌ»، أي: زوجُ ضرائرٍ □
ولما جاء الإسلامُ، أباح للرجلِ أن يتزوَّج اثنتين، أو ثلاثًا، أو أربعًا، إن أمِنَ من الجورِ بينهما، وإلا وجبَ عليه أن يقتصرَ على واحدةٍ؛ كما قال تعالى:

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ {النساء: 3}.

أي: فلكلِّ من يريدُ الجمعَ أن يتزوَّج من النساءِ باثنتين، أو ثلاثٍ، أو أربعٍ، سواءً اتفقَ الأزواجُ في عددِ زوجاتهم، أم اختلفوا، مع الشرطِ المذكور، وهو العدلُ بينهما □

وقد عُرِفَ في أصولِ الشريعة: أن الشيءَ قد يكونُ فيه نفعٌ، وتكونُ فيه مفسدةٌ أعظمُ من النفعِ، فيُنهي عنه؛ كالخمرِ والقمارِ؛ قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا {البقرة: 219}

؛ فنهي عنهما حيثُ غلبَ الإثمُ على النفعِ □

وقد يكون فيه ضررٌ، ونفعُهُ أكبرُ من ضرره؛ فيأذنُ فيه؛ كالحربِ فيها ضررٌ، وهو موثٌ فريقٍ من رجالِ الأُمَّةِ، ولكنَّ العِزَّةَ والكرامةَ التي

تناهَى الأُمَّةَ بعد الحربِ أكبرُ من ضررها بدرجَةٍ قُصوى؛ فأذنَ فيها□

ومن هذا البابِ: تعدُّدُ الزوجاتِ، فيه ضررٌ على إحدى الزَّوجاتِ بمشاركةِ الأخرى لها في الزوجِ، وفيه مصالحٌ للزوجِ والأُمَّةِ إذا رُوِيَ شرطُهُ؛ وهو العدلُ بينهما□

فالإسلامُ أباحَ تعدُّدَ الزوجاتِ على وجهِ الرخصةِ للرجلِ لأسبابٍ طبيعيَّةٍ واجتماعيَّةٍ؛ فقد تُصابُ الزوجةُ بمرضٍ يَمنعُ الزوجَ من ملابستها، أو تكونُ مصابةً بعُقْمٍ يَمنعُ من النَّسلِ، ولتوثيقِ صلةِ الزوجِ بأسرةٍ أخرى تظاهرها وتعيته□

ثم إن الرجالَ على فرضِ مساواتهم للنساءِ في العَدَدِ، فإنهم يتعرَّضون لأخطارٍ لا يتعرَّضُ لها النساءُ، من حربٍ ونحوها؛ فينشأ عن ذلك أن تكونَ نساءٌ خالياتٌ من رجالٍ يقومون عليهنَّ، ويحفظون حرْمهنَّ، ويدفعون عنهنَّ قالةَ الشَّوءِ، والمشاهدةُ تدلُّ على زيادةِ النساءِ على الرجالِ□

وإذا وقَّعَ ظُلْمٌ ممن عدَّدَ الزوجاتِ، فلعدمِ الثقافةِ الإسلاميَّةِ، أو التهاؤنِ بها؛ فإذا كافَّحَ وليُّ الأمرِ هذه الجهالةَ، أو التهاؤنَ بأحكامِ الدِّينِ، فأرى الناسَ حقائقَ بينهم وآدابهُ بالمعلِّمينَ الراشدينَ، والوعاظِ المخلصينَ -: صارَ تعدُّدُ الزوجاتِ على قدرٍ ما تدعو إليه المصلحةُ الظاهرةُ، ولا يَقَعُ لمجرَّدِ حظِّ النفسِ والانحطاطِ في أهوائها□

فالتعليمُ السليمُ، والعِظاظُ البالغةُ، تُوجدُ عندَ الرجالِ من الأخلاقِ ما لا تُوجدُ المحاكمُ السائدة□

والعيوبُ التي يذكُرُها من يدَّعي ضررَ التعدُّدِ، إنما هي نتيجةُ الجهلِ بالتشريعِ، أو التهاؤنِ به، ولا شكَّ أنها تزولُ بالتهذيبِ والموعظةِ، كما كان ذلك في العصورِ الزاهرةِ بالدِّينِ□

فالمَنصِفون من الناسِ - ولو من غيرِ المسلمينَ - يعترفون أن الإذنَ في تعدُّدِ الزوجاتِ - مع مراعاةِ العدلِ بينهما - ضروريٌّ في الأُمَّةِ، إذا أرادت أن تعيشَ في عفافٍ وعِزَّةٍ بكثرةِ نَسْلِها، وصيانةِ أعراضها؛ وهذا ما توحَّاه الإسلامُ في إباحةِ تعدُّدِ الزوجاتِ، مع رعايةِ شروطه□ كما أن تعدُّدَ الزوجاتِ مقبَدٌ في الشريعةِ الإسلاميَّةِ؛ فلا يُبيحُ الإسلامُ الزواجَ فوق أربعِ زوجاتٍ، ولا يُبيحُ الجمعَ بين الأختينِ، وبين المرأةِ وعمَّتها أو خالتها؛ وهذا كلُّه غيرُ موجودٍ عند الطوائفِ التي تُبيحُ التعدُّدَ في الدياناتِ والمذاهبِ الأخرى؛ كطائفةِ المُورُمونِ التي انشقت عن النصرانيَّةِ، والتي تُبيحُ لأتباعها التعدُّدَ بلا ضوابط□

أما «تعدُّدُ الأزواجِ» الذي جاء السؤالُ عنه، فهو من حيثِ الحقيقةِ والواقعِ لا مصلحةٌ فيه حتى تُبيحهُ الشريعةُ، والشريعةُ جاءت بالعدلِ ووضعِ الأمورِ في مواضعها، ولم تأتِ بالمساواةِ في كلِّ شيءٍ، بل المساواةُ بين المختلفينَ: هي عينُ الظلمِ والفسادِ□

ومن نظرَ في تعدُّدِ الأزواجِ، وجدَ أنه في حقيقتهِ زنى؛ فجميعُ مفسدِ الرِّنى موجودةٌ فيه:

فتعدُّدُ الأزواجِ يتضمَّنُ اختلاطَ الأنسابِ، وإفسادَ المرأةِ المصُونَةِ، وتعريضَها للتلفِ والفسادِ، ويتضمَّنُ نشرَ الأمراضِ والأوبئة□

وتعدُّدُ الأزواجِ زنى، والرِّنى يُوجبُ الفقرَ، ويقصُرُ العُمْرَ، ويكسو صاحبهُ سوادَ الوجهِ، وثوبَ المَقْتِ بين الناسِ□

وتعدُّدُ الأزواجِ زنى، والرِّنى يشتتُ القلبَ، ويمرضُهُ إن لم يُبته□

وتعدُّدُ الأزواجِ زنى، والرِّنى يجلبُ الهمَّ والحزنَ والخوفَ، ويباعدُ صاحبهُ من الملكِ، ويقربُ منه الشيطانَ□

فليس بعد مفسدةِ القتلِ أعظمُ من مفسدةِ الرِّنى، وتعدُّدُ الأزواجِ هو نوعٌ من أنواعِ الرِّنى□

وراجِع: جوابَ السؤالِ رقم: (65)، (148)، (264).

